

- ٦٦ -

هكذا القهم بالشرح الايطاليين ، وحيث كانوا يضعون النماذج اليونانية والرومانية نصب أعينهم في خلقهم الأدبي ، فنضج التحليل النفسى في شخصيات مسرحياتهم وذلك لاتساع آفاقهم في هذه الناحية ، وخروجهم من نطاق أدبهم إلى الأدب والنقد العالميين لعصرهم .

ولكن الدعوة إلى العقل والتهوين من شأن الخيال على نحو ما شرحنا كانا خطراً على الشعر الغنائى ، وهو موضوع دراستنا هنا ، فنضب فيه الخيال وتوالت صورته على جلاء المعانى المطروقة . وقد حدا ذلك ببعضهم وهو « سانت ايفريمون » إلى التهوين من شأن الشعر نفسه وتهجينه باسم العقل لأن الفكرة الواضحة في النثر مفضلة على التصوير الخيالى الذى مجاله الشعر وقد هجا هذا الناقد هو ميروس والشعراء الأقدمين ، وبهذا هزل شأن الشعر في الأدب الفرنسى ، وظلت الحال كذلك حتى العصر الرومانتيكى . فكانت المعانى تسار المألوف ، وتنظم في سلك العقل ، ويضوئ فيها الخيال الفردى ، والاعتماد على الصور الذاتية . بل إن الشعر الغنائى نفسه كان قليلاً في العصر الكلاسيكى إذا قيس بالشعر الموضوعى في المسرحيات ، استجابة منهم للدعوة إلى العقل والتهوين من شأن الصور الخيالية على نحو ما شرحنا .. كما كانت موضوعات هذا الشعر نفسه في جملتها مطروقة مألوقة تقليدية : من تعزية أو مقطوعات غزلية ، أو أشعار دينية أو مدح أو رثاء : أو وصف بعض مناظر الطبيعة وفصولها ، والنوع الأخير أقل الأشعار الغنائية حظاً في الأدب الفرنسى الكلاسيكى .

ويلحظ القارئ وجوه شبه بين هذه الموضوعات وكثير من موضوعات الشعر العربى القديم . ولا نقصد بحال أن نصف الشعر العربى القديم بأنه كلاسيكى ، فلم يكن في الأدب العربى مذاهب أدبية تقابل المذاهب التى نشير إليها هنا . . وطبعاً لا نقصد كذلك إلى القول بأن هناك تأثيراً متبادلاً بين الأدبين العربى والأوروبى في تلك العصور . ولكن وجوه الشبه في بعض الموضوعات ؛ وفي كثير من المعانى في الأدب الكلاسيكى وأدبنا